Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وجوداً، ولحلّت البهيمية محلّهما، ولغادر الإنسان إنسانيته، فلا يمتدّ بهما زماناً لا ينقضي دوامه، ومكاناً لا ينتهي اتّساعه، ولغاب في الزمان ماضياً فلا يعود، ولاندثر في المكان رمساً، لا ينسل منه أبداً.

2 ـ نلاحظ مما ذكرناه أخيراً أن الفكر محتاج في مادة بقائه إلى لغة يؤسس بها مكانه قولاً. ذلك لأنه من غير هذا المكان يستحيل أن تصبح كينتونته وجوداً، وجوهره المعمى ظاهراً. وإن هذا جعلنا نقول إن اللغة بالنسبة إلى الفكر، هي اللحظة الأنطولوجية التي ينكشف بها على وجوده الفعلي المحسوس ويباشره. كما أنه لو خلت اللغة من الفكر لاستحالت إلى أصوات لا تقول شيئاً ولا تعني شيئاً.

ولقد نعلم من جهة أخرى، أن الإنسان عند المنظّرين المسلمين لن يكون ناطقاً إلاّ بهما معاً. فالشهرستاني يقول: «كل الحروف والكلمات محالها اللّسان. وكل المعاني والمفهومات محالها الجنان. وبمجموع الأمرين معاً سمّي الإنسان ناطقاً ومتكلماً». وإنه إذ يعلل ذلك، يربط بين اللغة والفكر، بحيث يتعذّر الفصل بينهما في أداء الإنسان لكلامه. إنه يقول: «لو وجدت اللسانية منه دون المعاني الجَنانية سمي مجنوناً لا متكلماً إلاّ بالمجاز»[17].

3 ـ ثمة علاقة بين اللغة والفكر إذن، تجعل كل واحد منهما ملازماً للآخر. وتمثل هذه العلاقة، على مستوى الفعل الإنساني، نشاطاً إدراكياً يجمع بين الهوية بوصفها مبدأ لحدوث الأشياء واستقلالها، والغيرية بوصفها هدفاً لأداء هذه الأشياء في وجودها. واللغة والفكر يرتبطان بهذا الفعل. وهما، لأنهما كذلك، يحتلّان فيه موضوعين من مواضيع المعرفة التي ينتجها. ولعل التعرف على طبيعة هذه العلاقة هي الذي يؤدي إلى تحديد موضوعها من جهة، وإلى تحديد عوالم اللغة والفكر في الوقت نفسه من جهة أخرى. وإذا كان